وقصور قال التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم قال واذا عرفت التوكل فنفس
التوكل على الله تعالى عليه فان ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله تعالى كما سبق
واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة
بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء علمه علم ولا وراء منتهى
عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره
بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله فان كنت لا تجد هذه الحالة
من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال واما ضعف القلب ومرضه
باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه واما الرضى فقال فيه اعلم
ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وقد انكر
المنكرون تصور الرضى بما يخالف الهوى وقالوا ان امكن الرضى بكل شيء لانه فعل الله تعالى فينبغي
ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضى بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ثم
قال اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضى فلا يتصور فانما
اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم فيه فلا يخفى
ان الحب يورث الرضى بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين الوجه الاول ان يبطل الاحساس
بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحات ولا يدرك المها ومثاله الرجل
المحارب فانه في حال غضبه او خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل
به على الجراحة بل الذي يكون في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بها لشغل
قلبه والوجه الثاني هو ان يحس بالالم ويدركه ويكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني
بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الالم الا
انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم
وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة
السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابته بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر
له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله تعالى عليه هذا اذا كان يلاحظ الثواب والا
فيمكن ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده و
مطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق واما الحب فقال فيه اول ما ينبغي ولاكن
ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان من لا يعرفه ولذلك لم
يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو
محبوب عند المدرك وكل ما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب
الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى

كون

كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل
الطبع الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي يسمى عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع من
المؤلم المتعب فاذا قوي يسمى مقتا ثم قال وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادرا
كه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله تعالى جميل كان لا محالة محبوبا
عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
ثم قال والمستحق للمحبة هو الله وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله تعالى
فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى
وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب
محبوب وكل ذلك راجع الى حب الاصل ولا يجاوزه الى غيره فلا محبوب في الحقيقة عند ذوي البصائر الا
الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه انتهى باختصار ومن اراد بسط ذلك وبيانه وحججه وضرب
مثله في الشاهد فعليه بالاحياء قوله يصدق شاهده في المعاملة البيت يصدق عطف
على العاطف على يحلو وشاهد العبد الى حاضره والمطلع على سره وجهره هو الله تعالى والمعاملة
معاملة العبد ربه تعالى والمعنى انه يطلب من العبد ان يقصد بطاعته وجه الله تعالى اذ هو المطلع عليه
والرقيب عليه لا الرياء والسمعة ولهذا المعنى عبر بالشاهد والله اعلم وقد تقدم بعض الكلام
على ذلك في شرح قوله يطهر القلب من الرياء وتقدم قريبا الكلام على الرضى بالقضاء ومن محبوب او مكروه
وان من استولى على قلبه محبة الله تعالى رضي بكل ما يصدر منه لان الحب يورث الرضى بافعال المحبوب
قوله يصير عند ذاك البيت معناه ان من اتصف بالاوصاف المذكورة يصير عارفا بربه تعالى حرا خليا
قلبه من محبة غيره اذ لو تعلق قلبه بمحبة غيره لكان رقا لذلك الغير وكانه يشير لقول
الامام ابن عطاء الله رضي الله عنه ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون
لغيره عبدا وقال قبل هذا انت حر مما انت عنه ايس وعبد لما انت
له طامع انتهى واذا اتصف العبد بما ذكر صار عارفا بربه حرا من رق غيره لاعراضه عنه
عبدا لله لاقباله عليه بكليته احبه الله تعالى واصطفاه واجتباه لحضرته ومعنى
اصطفى واجتبى اختار وحب لغة في احب

ذا القدر نظما لا يفي بغايه . وفي الذي ذكرته كفايه
ابياته اربعة عشر تصل . مع ثلاثمائة عد الرسل
سميته بالمرشد المعين . على الضروري من علوم الدين
فاسأل النفع به على الدوام . من ربنا بجاه سيد الانام
قد انتهى والحمد لله العظيم . صلى وسلم على الهادي الكريم

اخبر ان هذا القدر الذي ذكر من النظم بحسب ان من اشتمل عليه النظم من المسائل بالنسبة
بينة لا يفي لك بغاية ما يطلب والمكلف بل هو اكثر من ذلك لكن تتبعه يؤدي الى التطويل
الموجب للملل والتردد وانما فيما ذكر كفاية لمن اعتنى به وفهمه ثم اخبر ان عدة ابيات

Copyright © King Saud University